بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحج ليشهدوا منافع لهم

٢٥/١١/ ١٤٤٣هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى عِظَمِ نِعَمِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شريكَ لَهُ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ، وَخَلِيلَهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ حقَّ التَّقْوَى؛ واعلَمُوا أنَّ أَجْسَادَكُمْ عَلَى النَّارِ لَا تَقْوَى.

عبادَ اللهِ، إِنَّ الأمةَ الإسلاميةَ عَلَى بابِ مَوْسمٍ عظيمٍ؛ أَلَا وَهُوَ الحَجُّ إِلَى بيتِ اللهِ الْحَرَامِ، الَّذِي فَرَضَ اللهُ علَى عِبَادِهِ حَجَّهُ، فَقَالَ تَعَالَى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)، ولقولهِ، صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ، في الحديثِ الطويلِ الذي رواهُ مسلمٌ: ‘‘يأيُّهَا النَّاسُ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ الْحَجُّ

فَحُجُّوا"، وَالْحَجُّ رُكْنٌ مِنْ أركانِ الإِسْلَامِ، الَّتِي بُنِيَ علَيْهَا، وَفَرْضُ عَيْنٍ بالإجماعِ، ومعلومٌ مِنَ الدينِ بالضرورةِ.

إِنَّ القلوبَ المؤمنةَ لَتَنْطَلِقُ شوقًا إِلَى هَذَا البيتِ؛ تحقيقًا لدعاءِ الخليلِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ)، فقلوبُ المؤمنينَ تَهْوِي إِلَى ذلكَ البيتِ العظيمِ، الذي أُقِيمَ علَى التَّوحيدِ مِنْ أَوَّلِ لحظةٍ، فَمَا أَنْ أَذَّنَ الخليلُ بالحجِّ بَعْدَمَا فَرَغَ مِنْ إِقَامَتِهِ عَلَى الأساسِ الَّذِي كُلِّفَ بِإِقَامَتِهِ عَلَيهِ إِلَّا وجُموعُ المؤمنينَ تأتِي إليهِ مُلَبِّيَةً، يَتَقَاطَرُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ رِجَالًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ يَسْعُونَ، وَرُكُوبًا عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ.

إِنَّ الْحَجِيجَ لَا يَزَالُونَ يَتَوَافَدُونَ مِنْ كُلِّ فِجَاجِ الأرضِ القَاصِي مِنْهَا، وَالدَّانِي. وَحَنَاجِرُهُمْ تَجْأَرُ بِإِجَابَةِ التَّوْحِيدِ ونداءِ الإخلاصِ، لبيكَ اللهمَّ لبيكَ، لبيكَ لَا شَرِيكَ لكَ لبيكَ.

يُجِيبُونَ دَاعِيَ التوحيدِ بإعلانِ التوحيدِ. إِنَّ هذِهِ الجموعَ الْمُلَبِّيَةَ الْمُسْتَجِيبةَ؛ تَأْتِي مُنْضَوِيَةً تحتَ رايةِ العقيدةِ، تتوارَى في ظِلِّهَا فوارقُ الأجناسِ، وَتَمَايُزُ الأَلوَانِ وتباعُدُ الأوطانِ.

عِبَادَ اللهِ، جَعَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِلْحَجِّ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ، سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: ''إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ'' قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ''الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ'' قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ''حَجٌّ مَبْرُورٌ''. مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ هُوَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُ إِثْمٌ، وَلَا رِيَاءٌ، وَلَا سُمْعَةٌ، وَلَا رَفَثٌ، وَلَا فُسُوقٌ قَالَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ: ''مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ'' (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

فَعَلَى مَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَى حَجِّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، أَنْ يَتَزَوَّدَ فِي حِجِّهِ بِخَيْرِ الزَّادِ؛ أَلَا وَهُوَ زَادُ التَّقْوَى، فَهِيَ زَادُ الْقُلُوبِ وَالأَرْوَاحِ، مِنْهَا تَقْتَاتُ، وَمِنْهَا تَتَقَوَّى، وَعَلَيْهَا تَسْتَنِدُ فِي الوُصُولِ وَالنَّجَاةِ. وَمِنَ التَّزَوُّدِ بِالتَّقْوَى: رَدُّ الْمَظَالِمِ إِلَى أَصْحَابِهَا، وَالتَّحَلُّلُ مِنْ أَهْلِهَا، وَمِنْ زَادِ التَّقْوَى أَنْ يُنْفِقَ عَلَى حِجِّهِ أَطْيَبَ مَالِهِ، فَمِنْ أَعْظَمِ الْغَبْنِ أَنْ يَحُجَّ الْحَاجُّ بِمَالٍ مُحَرَّمٍ، مِنْ مَالٍ رَبَوِيٍّ، أَوْ رِشْوَةٍ، أَوْ مَالٍ أَكَلَهُ مِنْ يَتِيمٍ أَوْ

مِسْكِينٍ، فَهُوَ لَا يَنَالُ بِسَبَبِهِ مِنْ حِجِّهِ إِلَّا نَصَبًا وَتَعَبًا، فَعَلَى مَنْ نَوَى الْحَجَّ أَنْ يُخْرِجَ النَّفَقَةَ مِنْ خَيْرِ مَالِهِ، وَأَنْ يَتَزَوَّدَ لِحِجِّهِ بِرُفْقَةٍ صَالِحَةٍ، رِفْقَةٍ إِذَا رَأَيْتَهُمْ ذَكَرْتَ اللهَ، يُعِينُونَكَ عَلَى التَّقْوَى، يُذَكِّرُونَكَ بِرَبِّكَ وَبِالدَّارِ الآخِرَةِ، فِيهِمْ مَحَاسِنُ الشِّيَمِ، وَمَكَارِمُ الأَخْلَاقِ.

قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللهُ: "صَحِبْتُ اِبْنَ عُمَرَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَخْدُمَهُ، فَكَانَ يَخْدُمُنِي أَكْثَرَ".

فَحُجَّ يَا عَبْدَ اللهِ بِرِفْقَةِ أُولِي الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ، أَهْلِ التَّوَاضُعِ وَالْخُضُوعِ، وَالتَّذَلُّلِ وَلِينِ الْجَانِبِ، وَاِجْتَنِبْ أَهْلَ: الْمِرَاءِ وَالْجَدَلِ، وَالْجَبَرُوتِ وَالْقَسْوَةِ، وَالتَّعَاظُمِ وَالتَّفَاخُرِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ.

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم...

الخطبة الثانية:

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللهِ، إِنَّ فِي الْحَجِّ مِنَ الْمَوَاقِفِ الْعَظِيمَةِ مَا يَجِلُّ عَنِ الْوَصْفِ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الأَجْرِ وَالْغَنِيمَةِ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا

وَأَجَلِّهَا، مَوْقِفُ عَرَفَةَ؛ فَهُوَ عُمْدَةُ الْحَجِّ؛ فَعَلَى صَعِيدِ عَرَفَاتَ، يَجْتَمِعُ جُمُوعُ الْحَجِيجِ فِي مَنْظَرٍ مَهِيبٍ، مُتَجَرِّدِينَ مِنَ كُلَّ سِمةٍ إِلَّا سِمَةَ الإسلامِ، لَا يُمَيَّزُ فَرْدٌ عَنْ فردٍ، وَلَا قَبِيلةٌ عَنْ قَبِيلَةٍ، وَلَا جِنْسٌ عَنْ جنسٍ، لباسُهُمْ وَاحِدٌ، وَشِعَارُهُمْ وَاحِدٌ، لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ، تَكْبِيرٌ وَتَهْلِيلٌ. فتُسْكَبُ الْعَبَرَاتُ، وَتُقَالُ الْعَثَرَاتُ، وتُسْتَجَابُ الدَّعَوَاتُ، وَتُغْفَرُ السَّيِّئَاتُ؛ مَحْرُومٌ وَرَبِّي مَنْ لَمْ يَتَذَوَّقْ طَعمَهُ وَلَوْ مَرَّةً فِي حَيَاتِهِ، مَشْهَدٌ جليلٌ، لَا يَعْرِفُ عَظَمَتْهُ إِلَّا مَنْ وَقَفَهُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ‘‘مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟’’ (رواهُ مسلمٌ).

وعلى مَنْ وقَفَهُ أنْ يَستَشْعِرَ هَيبتَهُ، خَطَبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بعرفةَ فقالَ: ‘‘إِنَّكُمْ قَدِ جِئْتُمْ مِنَ القريبِ والبعيدِ، وأَضْنَيْتُمْ

الظَّهْرَ، وأَخْلَقْتُمْ الثِّيَابَ، وليسَ السابِقُ اليومَ مَنْ سَبَقَتْ دَابَّتُهُ ورَاحِلَتُهُ، وإِنَّمَا السَّابِقُ مَنْ غُفِرَ لهُ".

وقفَ حكيمُ بنُ حِزَامٍ رضي اللهُ عنهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ؛ فَأَعْتَقَ عَبِيْدَهُ، فضَجَّ النَّاسُ بالبكاءِ والدعاءِ يقولونَ: هَذَا عَبْدُكَ قَدْ أَعْتَقَ عَبِيدَهُ، وَنَحْنُ عَبِيدُكَ فَأَعْتِقْنَا.

رأَى الفُضَيلُ بكاءَ الناسِ بعرفةَ فقالَ: أَرَأَيْتُمْ لَو أَنَّ هَؤُلَاءِ صَارُوا إِلَى رَجُلٍ فَسَأَلُوهُ دِرْهَمًا، أَكَانَ يَرُدُّهُمْ ؟ قَالُوا: لَا وَاللهِ، قَالَ: وَاللهِ، لَلْمَغْفِرَةُ عِنْدَ اللهِ أَهْوَنُ مِنْ إِجَابَةِ رَجُلٍ بِدَانِقٍ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللهَ أَسْأَلُ عَفْوَهُ *** وَأَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَعْفُو وَيَغْفِرُ
لَئِنْ أَعْظَمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا *** وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللهِ تَصْغُرُ